المادة : تاريخ الدولة العباسية

المرحلة : الثالثة

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

مفردات المادة

المحاضرة الثالثة

ابو مسلم الخراساني

هو ابراهيم بن وشيكه وهو من اب فارسي وام جارية وقد باع والده امه وهو في بطنها الى بني عجل في الكوفة وهنالك نشأ وبدأ يرعى مصالحه وفي اواخر الخلافة الاموية دخل بني العجل في السجن ودخل ابو مسلم معهم ليخدمهم وتعرف على الشيعه العباسية في السجن ٠وهنالك كان يدعون للرضا من ال البيت فأعجب بافكارهم وانتمى لحركتهم ثم صحبهم الى بعض مجالسهم واشتروه من اسياده القدامى واصبح مملوكا لبعض الدعاة العباسين حيث صحبوه الى ابراهيم الامام في قرية الحميمة فاعجب به وطلب منهم ابقاءه معه وغير اسمه الى عبد الرحمن وكناه ابو مسلم . منذ هذا التاريخ دخل ابو مسلم الى الدعوة العباسية وعين ممثل عن الخليفة على خراسان بعد ان حاز على ثقة الخليفة العباس٠ وقائدا للثورة وعين بعدها والي على خراسان وكانت خراسان اكبر ولاية ، ونشر عيون كثيرة لذلك استطاع من السيطرة .

وتدل مجريات الاحداث على ان ابا مسلم كان رجلا عسكريا ولكنه لم يكن رجل سياسة قط فكانت تعوزه الخبره السياسية رافقها شدة متناهية في معاملة الاخرين وتسرع في اصدار القرارات لقد ظهر ابو مسلم على المسرح السياسي كقائد عسكري منذ سنة ١٢٩هـ حين امره ابراهيم الامام بأظهار الدعوة واعلان الثورة في خراسان فتمكن بما اوتيه من ذكاء ومقدرة عسكرية من السيطرة على الوضع هنالك وتخلص من كل العناصر التي كانت تنازعه السيادة

فدانت له البلاد رهبه ورغبه ، ومن هنا بدأ الغرور يأخذ طريقه الى نفس ابي مسلم ومن هنا بدأت المشاكل تظهر الى الوجود بينه وبين السلطة المركزية التي كانت تريد ان تفرض اوامرها على جميع ولاتها وكان هو يرفض ان يكون احد وصيا على تصرفاتة.

ويبدو ان ابا العباس رغم ان وطأة ابي مسلم قد ثقلت عليه لكثرة خلافة اياه ورده لامره الانه كان اعجز من ان يتخذ ضده أي اجراء صارم .

اما المنصور فكان على العكس من ذلك تماما لانه كان يرغب ان تكون سلطة الدولة ظاهرة في جميع المناطق التي تسيطر عليها ويجب على الجميع بما فيهم الولاة احترام وتنفيذ القرارات الصادرة عنها واتخاذ اجراء صارم بحق كل من يخالف هذه القاعدة بغض النظر عما قدمه من خدمات.

ومن الطبيعي ان سياسية اللين هذه اتجاه ابي مسلم زادت من غروره حتى بلغ هذا الغرور حدا دفعه الى تعين ابي الجهم بن عطيه جاسوسا له في البلاط العباسي لينقل اخبار البلاط اليه اولا باول .

فبرزت المنافسة بين المنصور وابي مسلم من اجل الزعامة والتصدر للامور ولكن يبدو ان ابا مسلم كان يسعى لازاحة المنصور عن طريقه لذا لم يعبأ لوجوده او لمكانته السياسية المرموقة عند الخليفة ولهذا سعى كل من الرجلين في ابعاد منافسه عن طريقه باي صورة كانت .

وقد ظهرت هذه المنافسة بصورة واضحة سنة ١٣٢هـ حين ارسل الخليفة اخاه المنصور لاستشا رة ابي مسلم واخذ رايه في انحراف ابي سلمه الخلال فلم يحتفل به فأضمر المنصور له هذا الموقف . ومما زاد الامور سوءا اقدام ابي مسلم على قتل سليمان بن كثير الخزاعي شيخ النقباء العباسين لكي ينفرد بالسلطة من غير منافس فتجاهل ابو مسلم وجود المنصور هنالك ولم يستشره في هذ الامر الخطير.

ان الحادثتين السابقتين تحدد لنا نقطة البداية في تحديد علاقة ابي جعفر بابي مسلم ويستدل منها على ان المنافسه بين الرجلين قد وصلت اوج عظمتها لذلك طلب المنصور من اخيه قتله لكن طلبه لم يلق استجابة كافيه من لدن الخليفة وبذلك فشلت اول محاولات المنصور لاغتيال ابي مسلم.

واستمر المنصور في سياسية ابي مسلم لانه لم يشأ ان يتركه يستمر في غطرسته وجبروته واخذ يلح على اخيه بضرورة التخلص منه واقتنع الخليفة اخيرا بوجهة نظر اخيه ودبر لابي مسلم مؤامره لاغتياله سنة ١٣٥هـ حين دس سباع بن النعمان الازدي وامره باغتيال ابي مسلم في اول فرصه تكنه من ذلك ولكن كشف امره ابو مسلم وقتله ولما علم الخليفه بفشل المحاوله ارسل الى ابي مسلم مهنئا بانتصاره على المتمردين وبذلك بائت المحاولة الثانيه بالفشل .

اما المحاولة الثالثه فقد جرت احداثها في الانبار سنة ١٣٦هـ حيث كتب ابو مسلم الى الخليفة يستأذنه في الحج فاذن له الخليفة وبنفس الوقت كان الخليفة قد كتب لاخيه المنصور وهو يومئذ بالجزيرة يقول ان ابا مسلم قد استأذن الحج وهو مغلس فاقدم حاجا فاسرع المنصور وقدم الانبار فوصلها قبل وصول ابي مسلم اليها وقد وجد المنصور ان الفرصه مناسبه جدا لاغتيال ابي مسلم في الانبار بعيدا عن مركز قوته خراسان وزاد من تدهور الموقف وتصعيد روح الحقد والكراهية في نفس المنصور ان ابا مسلم لما دخل على ابي العباس وسلم عليه تجاهل وجود ابي جعفر بحضرته ولم يسلم عليه فنبهه الخليفة قائلا هذا ابو جعفر اخي فاجاب ابو مسلم ان مجلس امير المؤمنيين لاتقضي فيه الحقوق.

وكان لهذه الحادثه ردود فعل عنيفة في نفس المنصور فاشار على اخيه بالحاح بضرورة التخلص من ابي مسلم . وبذلك تم اعداد الخطة والاتفاق عليها على ان يقوم المنصور بتنفيذها لوحده فخرج من عند الخليفة واعد العدة لتنفيذ الاتفاق فوصله امر الخليفة يقول له لاتفعل ذلك الأمر .

ويبدو ان رأي الخليفة كان اصوب من راي المنصور فقد ساوره احساس بارجاء قتل ابي مسلم لظرف اكثر ملائمه من الظرف الحرج الذي هو فيه فقد يترتب عليهم من القلاقل ما يعرض امن الدولة للخطر وقد ايدت الحوادث صحة ذلك فيما بعد فلما قرب موسم الحج استأذن ابو مسلم من الخليفة ان يكون اميراً للموسم فقال له ابو العباس لولا ان اخي على الحج عامة هذا لوليتك الموسم فأنك رجل من اهل البيت فأمتعض ابو مسلم من ذلك وقد اراد الخليفة ان يحد من سلطانه المتزايد فأسند امارة الحج لاخيه لانها كانت شرفاً لمن يتولاها .

وعلى هذه الصوره من التنافس والتناحر والبغض والكراهية اتجه الركب الى مكة تحت امرة المنصور فكان ابو مسلم يتقدم امام ابي جعفر باديا وراجعاً خوفاً على نفسة، ومن

الاعمال التي اثارت الحقد في قلب المنصور واشعلت فيه نار الانتقام اقدام ابي مسلم على تسهيل الطرق وحفر الابار واكساء الاعراب في كل منزل فكان الصيت والذكر له دون الخليفة وامر منادياً في الطريق بريت الذمة من رجل اوقد نار في معسكر الامير فلم يزل يغديهم ويعشيهم حتى بلغ مكة . وكان اذا كتب للمنصور يبدأ بنفسهً ثم يكتب اليه لا يهولك ما في صدر الكتاب . ولكني احب ان يعلم اهل خرسان ان لي منزلة عند امير المؤمنين فأعتبر المنصور هذه الاعمال استطاله منه عليه.

وبعد انتهاء موسم الحج رجع الجميع قاصدين العراق واثناء الطريق وصل الخبر بوفاة ابي العباس فعلم ابو مسلم بالخبر اولاً لتقدمة في المسير وكتب الى ابي جعفر وبدء الكتاب بنفسة ويعزيه بوفاة ابي العباس ولم يهنئه بالخلافة فلما قرأه المنصور استشاط غيضاً وبلغ من شدة غضبه انه قال انا بريء من العباس ان لم اقتل ابن وشيكة ٠ولم يرسل ابو مسلم البيعة للخليفة الا بعد يومين من استخلافه وكان قصد ابي مسلم من ذلك ارهاب ابي جعفر بتأخيرها ٠

وفي الانبار يظهر ابي مسلم علا نية ولاول مره نواياه الخطرة تجاه المنصور وذلك بتحريض عيسى بن موسى على اعلان الثورة ضد ابي جعفر وتنصيبه خليفة للمسلمين بدلاً منه واعلمه بأستعداده التام للتعاون معه من اجل ذلك لكن عيسى رفض العرض رفضاً قاطعاً وحذر ابا مسلم من مغبة عملة وقال له الامر لعمي ولو قدمني ابو العباس لقدمتها على نفسي ٠

وبعد اعلان عبد الله بن علي ثورته على الخلافة العباسية عين الخليفه ابو مسلم قائداً للجيش ليحارب عبد الله بن علي وبعد انتهاء المعركة ارسل الخليفة احد مساعديه لاحصاء غنائم الحرب وجيش الدولة الذي عده الخليفة لمحاربة الدولة البيزنطينية لكن ابو مسلم عدها غنائم الحرب حتى انه عد نساء الجند (ايماء) وعد الاسرى عبيد هذه هي نقطة الخلاف وبدلاً من ان يتدارك الخرساني الموقف ويدعم هذا الامر الواقع ويعتذر من الخليفة نجده يهدد ويتوعد وكأن الخليفة تابع له عندها وافق الخليفة عد غنائم الجند غنائم حرب نزولاً عند رغبة الخرساني وهي رغبة تخالف الدين الاسلامي واراد بها ابعاد الخرساني عن ولاية خرسان فأصدر امرً بتوليه الشام ومصر لكن الخرساني رفض وغادر الشام متجهاً الى خرسان من دون امر من الخليفة اضطر الخليفة الى معالجة الامر معالجة ذكية فغادر الانبار الى المدائن

وعسكر بها وبدء جملة من الاجراءات الادارية والعسكرية المكثفة من تأجيل وتأخير الخراساني الذهاب الى خراسان

وبعد ان استقر المنصور بالمدائن شرع بتنفيذ خطة فبدء اولاً بأنتهاج سياسة اللين فكتب اليه اني اردت مذكراتك في اشياء لم يحتملها الكتاب فأقبل فأن مقامك قلبي ولكن ابو مسلم رفض مقابلة الخليفة واستمر بالمسير الى خراسان ومهما يكن من امر فأن المنصور استمر في سياسة اللين والترغيب تجاه ابو مسلم لأصطياده فأمر عمومه ومن حضر من بني هاشم ان يكتبوا اليه ويأمروه بالطاعه ويحذروه شر عواقب الغدر والتبديل والنكث ويسألوه الرجوع واستعان ابو جعفر ايضاً باصدقاء ابي مسلم امثال عيسى بن موسى وجرير بن زيد البجلي وقد اثرت كلمات هؤلاء في نفسة وتردد بين الاستجابة وعدمها وساعده عيسى بن موسى حتى انه ضمن له الوفاء من المنصور وهنا حدثت مفاجئة لم يكن يتوقعها ابو مسلم وكان لها اثر كبير في تغيير موقعه فأبدا رغبة بتحفظ مقابلة الخليفة ذلك ان المنصور تمكن بخطة ذكية وناجحة ان يفرق بين ابي مسلم وصديقه ونائبة على خراسان ابي داوود خالد بن ابراهيم الذهلي حين اغراه بولاية خرسان ان هو تمكن من اقناع ابي مسلم على مقابلته وقد اثرت هذه المحاورة والتي قبلها في غش ابي مسلم واقتنع اخيراً بأن الطريق الصواب هو مقابلة الخليفة . كحل بديل في تلك الظروف الحرجة فاما ان يصفح عنه بعد تقديم اعتذاره له والا قتله وقد رائ المنصور استكمالالنجاح خطته ان يأمر الناس بالترحيب به فكان لايمر بمكان الااستقبلوه بالبر والاحسان والاكرام فلما وصل المدائن بعث لاستقباله ولي عهده عيسى بن موسى زيادة في الحفاوة به لادخال الطمأنينة في قلبه واشار ابو ايوب المورياني وزير الخليفة بان لايتعجل في قتله يوم وصوله . وكان هذا الرأي سديد فاستجاب له المنصور واستقبل ابا مسلم بالحفاوة والتعظيم حين دخل عليه في مجلسه فبادره ابو مسلم وقبل يده وقام قائم بين يديه فقال له الخليفة كدت تمضي قبل ان افضي عليك بما اريد، قال لقد اتيت يامير المؤمنيين امر امرك فامره بالانصراف واراحة نفسه من مشقة السفر فخرج وخرج الناس .

وبعد ان خرج ابو مسلم ومن معه اخذ المنصور يعد العدة لتنفيذ خطته فاستدعى في صباح اليوم التالي رئيس الحرس عثمان بن نهيك واربعة من اصحابه ممن يعتمد عليهم وسألهم عن مدى استعدادهم لقتل ابي مسلم اذا طلب منهم ذلك فقالوا نقتله فاطمأن

المنصور سلامة موقفهم وبدأ يشرح خطته لهم فقال اذا عاتبته فعلا صوتي فلا تخرجوا وكان قد اعد لهم مكانا وراء ستر خلف ابي مسلم فاذا انا صفقت فاخرجوا اليه واقتلوه وزيادة في الحيطه والحذر امر المنصور حاجبه ان ياخذ سيف ابي مسلم اذا دخل عليه ليامن شره كما ارسل ابا ايوب المورياني في صباح اليوم التالي ليطوف في المعسكر ويتقصي الاخبار ليضمن عدم تسريب اسرار الخطه .

وبهذا يكون المنصور قد استكمل جميع الجوانب المتعلقة بالخطة ولم يبق الاالشروع بتنفيذها وفعلا قام بتنفيذها واستدعى ابي مسلم من منزل عيسى بن موسى وبدأت محاكمة ابي مسلم والتي تبدو عليها انها محاكمة صورية لان الخليفة فيها هو الحاكم وبنفس الوقت هم الخصم في القضية لانها جرت دون شهود اثبات او نفي ولأن الحكم بقتل ابي مسلم كان مقررا قبل المحاكمة .

وقد عاتب المنصور ابا مسلم في هذه المقابلة على امور جوهرية ذات قيمة ودلالة سياسية مؤثرة على سير الدولة منذ بدايتها الى حين مقتله مستعرضا اياها بسرعة وبأيجاز لينهي المحاكمة من غير تطويل .

وان الاسباب التي اوصلت ابا مسلم الى النهاية المحتومة كانت اسباب سياسية وقوية فاقدام ابي مسلم على قتل سليمان بن كثير رئيس النقباء في خراسان اثناء وجود ابي جعفر اثار حفيظته عليه خاصة وان قتل مثل هذه الشخصية ذات المكانة المرموقة في الدعوة العباسية دون الرجوع الى الخليفة او الى والي عهده الموجود انذاك في خراسان واعتبره المنصور تحديا للدولة بأسرها واهانه لهيبة الخلافة وله كولي للعهد وتجاهله في مجلس الخليفة العام وعدم السلام عليه كما هو معهود لولاة العهد وتحريضه لعيسى بن موسى على خلعه واستعداده لمساعدته لتحقيق هذا الهدف وتنصيبه خليفة بدلا منه وتصرفه بالغنائم دون الرجوع أليه وشتمه اياه بالشام امام القواد وعد طاعته لاوامر حين ولاه الشام ومصر ورفضه القدوم عليه حين طلب منه ذلك كلها اسباب سياسية قوية ومعقولة جدا لان يثيرها المنصور في المحاكمه يؤيد هذا الراي قوله لابي مسلم اثناء المناقشه (انك المستعظم غير العظيم) (لقد ارتضيت يابن اللخناء مرتضى صعبا)(ولاابقاني الله ابدا ان ابقيك)(أي عدو لي اعدى منك)(وقتلني الله ان لم اقتلك).

وبعد ان استعرض له المنصور هذه الامور على وجه السرعه صفق بيده وهي الاشارة المتفق عليها مع زمرة التنفيذ فخرج عليه هؤلاء فقتلوه سنة ١٣٧هـ تم امر به المنصور فرمي بدجله ٠

اما عيسى بن موسى وغيره من القادة والجند فأنهم لم يعلموا بمقتل ابي مسلم وقت تنفيذ الحكم منه لانه جرى بسرعة وكتمان شديدين فلما دخل عيسى على المنصور وكان يظن ان ابا مسلم لازال موجودا عنده فلم يراه سأل عنه فاشار اليه الخليفه وهو مقتول فأنكر عيسى على المنصور فعله .

وبعد ان حقق المنصور هدفه بنجاح رأى انه من الحكمه تدارك موضع الجند الخراسانيين الموجودين في بابه قبل ان تتسرب اليهم اخبار قتل قائدهم فيعلنوا الثورة المسلحة ضده فأمر ان تهيأ لهم الاموال المناسبة والعطايا السخية والجوائز السنية لاستمالتهم ولكن هؤلاء ماان علموا بالخبر حتى سلوا سيوفهم عندها رميت لهم الاموال مع رأس ابي مسلم فتشاغلوا بجمع الاموال عنه وسلموا بالامر الواقع بعدان وجدوا احاطة قوات الخليفة بهم من كل جانب وارسل الى قواد ابي مسلم الجوائز السنية واعطى جميع جنده حتى رضوا فرجع هؤلاء بعدئذ وهم يقولون بعنا مولانا بالدراهم .وبذلك تخلص الخليفة من أكبر شخصية كانت لوجودها وتزايد نفوذها وعظمة غطرستها وجبروتها خطرا مباشرا ومستمرا على خلافتة فجاء تخطيطها وتنفيذه للعملية في غاية الروعة والذكاء وفي وقتها المناسب ٠

وهذا لم يكن المنصور سفاحا للدماء او متعطشا لها كما تصوره بعض الروايات الا بالقدر الذي يحفظ ملكه من الضياع فكان لايتوانئ عن قتل كل من حامت حوله الشبهات